

قصة شمشون Samson

جبار بنى اسرائيل

(١)

لا بد أن تعثر في كل عصر من العصور على قصة جبار قوى ، وليس هركيولز ، Hercules ، إلا نحة من أمثلة البطولة التي تعلق بأذهان جميع الشعوب . وشمشون أحد هذه الأمثلة . ويظهر أن المقدرة على اختراع الأساطير لا تسج إلى هذه الناحية إلا لتمتج الإنسان المثل الأعلى في القوة الجسمانية التي نصبو إليها .

وحياة شمشون - كان واهاسفر القضاء - قصة بطولة تتمثل في رجل هائل القوة ذي طبيعة خارقة . وهي قطعة كاملة من الحياة اليهودية التاريخية . حتى لقد حاول بعض الباحثين المعاصرين أن يوجدوا نسباً بينها وبين خرافة الشمس The Solar Myth التي تدور حول هركيولز Hercules وأعماله . ولكن قصة شمشون لا تدل على شيء من ذلك . على أن من يحاول إيجاد هذه الصلة يستدل على ذلك بأن لفظة شمشون تعني الشمس الصغيرة وأن مدينة اللانين ، بيت شمس Beth-Shemesh ، التي تعني مدينة الشمس ، كانت بالقرب من ديار أبيه - ومبها يكن من شيء . فالظاهر أن أسباباً واهية هي التي كونت من معنى القصة البسيطة فاجمة لبطل عبري مشهور

(٢)

تمر السكة الحديد بين يافا والقدس في واد نصيب يحد المسافرين على المنحدرات الشمالية منه قرية صغيرة تسمى زورا Zorah وقد لصق بها هذا الاسم أيام كان يسكنها منوح Manoah ، والد شمشون قبل أن يحكم داود أورشلين بنين عدة وكان اليهود إذ ذاك مضطهدين في فلسطين والفلسطينيون وهم الشعب السائد في الجزء الذي عاش فيه منوح وعشيرته اللانيون (The Tribe of Dan) يسومونهم سوء العذاب وهم صابرون وليس منهم من يثور في وجه المتعفين ا وبقى الفلسطينيون مسيطرين على اليهود أربعين سنة وبعدها تبدأ القصة .

نشأ المزارعات المائلة بين الفلاح اليهودى (منوح) وبين زوجته فهما يأسفان جد
الأسف لأنهما لم يرزقا بأولاد يقومون بفلاحة الأرض عند ماتدركما الشيخوخة
ولكن زوجة منوح تلقى فى أحد الأيام نبأ من زائر يقول فيه « تحلين • وتلدن
ابنا ، والآن فاحذرى ولا تشربى خمرآ ولا مسكرآ ولانأكلى شيئاً نجساً إنك تحلين
وتلدن ابناً ولا تعلم موسى رأسه لأن الصبي يكون نذيراً لله من البطن وهو يبدأ
يخلص إسرائيل من يد الفلسطينيين ، — فهى تعيد هذا الحديث على زوجها وتصف
له الشخص الغريب فتقول « جاء إلى رجل الله ومنظره كنظر ملك الله مرهوب جداً
ولم أسأله من أين هو ولا هو أخبرنى عن اسمه ،

قد يجذب قارىء القصة ذلك السحر فى هذه البساطة فتحزن نجد (منوح) — وقد
سمع قصة زوجته يضرع إلى الله فى طلب الهداية « أسألك يا سيدى أن يأتى أيضاً ابنا
رجل الله الذى أرسلته فعملنا ماذا نعمل للصبي الذى يولد ، وتجاب دعوته فيتنا عمل
زوجة منوح فى الحقول وإذا بالغريب — ملك الله — يبط عليها وهى تسرع فتحضر
زوجها فيأل الملاك « ماذا يكون حكم الصبي ونعامته ؟ » فيلقى الجواب « من كل
ماقلت للمرأة فلتحفظ ، وتكرر التعليمات السابقة . وتقع حادثة لطيفة تتجلى فيها أخلاق
والد البطل وأمه إذ يستولى الرعب على (منوح) مما حدث فيقول « نموت موتاً لاتناقد
رأينا الله » وتقول زوجته فى سذاجة « لو أراد الرب أن يميتنا لما أخذ من يدينا حرفة
وتقدمة ولما أرانا كل هذه ،

يولد شمشون فأذا بتغيير فجائى يتناول شكل القصة وطبيعتها . وليس يعنىنا سرد
الحوادث الصوفية الغريبة ولكن تقتصر على ألعاب المصارعة العجيبة التى يأتيا الفلاح
اليهودى الصغير شمشون وقد لاتفق المخاطرات المدهشة التى يقدم عليها هذا الشاب
والأقوال التى كانت بين والده والزائر من السماويين فلا بدع إذن أن يعتبر الباحثون
المعاصرون قصة ميلاد شمشون الغريبة إضافة متأخرة .

وكان شمشون الصغير بشعره المرسل المتشور وجسمه القوى سيداً فى منزل والده .
والاعتقاد السائد عند نساك ذلك العصر أن الشعر الطويل يكسب الإنسان قداسة
خاصة فليس يعجيب أن يكون شمشون ضحوراً بشعره الطويل الذى يوافقه جد المواهة
ويكسبه قوة التأثير ، ويذكر السير جيمس فريزر — « Sir James Frazer » فى كتابه

• كل العبارات المحاطة بهذه الأقواس منقولة حرفياً من سفر القضاة فى التورات .

العنق النعبي — The Golden Bough أن الناس كانوا يعتقدون أن الشجر المرسل بمد صاحبه بقوة سحرية — وهنا ما اعتقده اليهود في ذلك العهد .

يخبر شمشون والديه بأنه قد أحب امرأة من بنات الفلسطينيين في «تمنة Timnath» في عارضاته : ألم يجد من تواقته من بنى جنسه ؟ وهل يجوز له أن يختلط بالوثنيين ؟ ـ مكن شمشون يرد على ذلك لأریدسواها لأنها حسنت في عيني ، — ولا يجد والباء العزاء إلا في قولها إنه من الرب . حيلة مدبرة ليزرع الكراهية في قلب شمشون للفلسطينيين .

يهجر شمشون ووالداه مزرعتهم ويذهبون إلى «تمنة Timnath» — وهي مدينة فلسطينية جميلة يسكنوا بين الكروم والبساتين ويسمع شمشون زئير أسد في الطريق فيتقدم ويشق الحيوان شقين بقوة خارقة مبعثها الفتوة والشباب .

ويعر المنظر الأول مع الفتاة الفلسطينية على أتم ما يكون من النجاح ويعود شمشون أخيراً ليتخذها زوجته فيمر على جثة الأسد الذي قتله ويجد لقرط دهمته كثيراً من النحل في جوفه فيأكل العسل الذي يجده في الجثة ١

تستمر حفلة الزواج سبعة أيام ويقوم ثلاثون شاباً من الفلسطينيين بأحضار العروس إلى شمشون والمحتمل — كما هو الحال الآن في حفلات الزواج بالشام — أنهم قاموا بشديد كل النفقات عنه . وفي اليوم الأول والقوم في سروهم العظيم يضع شمشون لغزه للثلاثين شاباً الفلسطينيين مقدماً لهم ثلاثين قيصاً وثلاثين حلة إذا قاموا بحله : — « من الآكل خرج أكل ومن الجاني خرجت حلاوة » وتمر أيام ثلاث دون أن يستطيع الشاب حل اللغز فهم يلجأون إلى العروس الصغير يهددونها بالحرق في منزل والدها إذا هي لم تكشف سر زوجها . وهنا تبدأ أول مأساة في حياة شمشون فقد كان مثل غيره من الأقوياء ضعيفاً أمام المرأة ودومعها وهو يستعمل الشدة أولاً ويأبى أن يجيبها ولكنه بعد بضعة أيام لم يقطع فيها البكاء لا يستطيع أن يصبر فيسر إليها بالحل .

جاء آخر يوم وكاد ميعاد الحل ينتهي إذ أقبل الثلاثون فلسطينياً على شمشون وقالوا « أى شيء أحلى من العسل وأى شيء أجفى من الأسد ؟ » وهذا الجزء من القصة سؤال يحتاج إلى جواب

(٤)

يظهر الغضب في عيني شمشون ولكنه يضبط نفسه ويقول « لولم تحرثوا على عجلى لما وجدتم أحجيتى » — ويذهب بعد ذلك إلى عسقلان (Ashkelon) البلدة الفلسطينية المجاورة فيقتل من أهلها ثلاثين رجلاً ويأخذ أسلابهم ويعطي الحلل للثلاثين الذين أجابوا على سؤاله. ومن هذه الحادثة يغضب شمشون الفلسطينين ويشد بغضه عند ما يريد صهره ان يعطى زوجته إلى واحد من الثلاثين الذين حضروا الزواج فهو يبدأ الآن بتخريب أراضى الفلسطينين بأن يطلق على محصولاتهم ثلثانة ثعلب ذبولها مربوطة ببعضها والنار مشتعلة فيها ولكن عشيرة شمشون تحت سيطرة الفلسطينين ففى تصده عن أعماله كلما طلب الفلسطينيون منها ذلك ونجد في لهجتهم بعض الضراعة عندما يأتون إليه قائلين « أماعلت أن الفلسطينين متسلطون علينا فإذا فعلت بنا ؟ » فيقول شمشون « كما فعلوا بي هكنا فعلت بهم احلفوا لى أنكم أتم لاتفعون على » ويتفقون على هذا ويسلمون شمشون فيحل وثاقه ويذبح عدداً عظيماً من الحراس بفك حمار — ألفاً كما تقول — رواية التوراة — وعند ما يعطش تنفجر له عين ماء من فك الحمار.

وفي حادثة أخرى يكون حب شمشون وبالا عليه ! امرأة فلسطينية تجذب عقله فيذهب إليها في بلدة غزة ويعلم أعداؤه أن اليهودى الخطر قد نزل بينهم فيضعون الحراس على باب المدينة وينتظرون الفجر ويقرراى الفلسطينين على الفتك به ليلا ولكن شمشون الماكر ينسل تحت جناح الظلام ويهلع باب المدينة العظيم من أصله ويحمله أربعين ميلا ويضعه على رأس جبل بالقرب من « حبرون » Hapron لكن الشقاء الذى ينتظر شمشون والذى هو سبب نكته لم يكن إلا من ضعف طبيعى فى أخلاقه

(٦)

يقع شمشون في شرك دليلا Delilah الجميلة الغادرة ويرشوها أقطاب الفلسطينين بألف ومائة من القطع الفضية لتخبرهم عن السر في قوته وتذهب بمجهودات المرأة سدى ثم تمر الأيام فيخبرها شمشون بأنه إذا أوثق بأوتار طرية لم تجف فإنه لا يقدر على الهروب وأن الحبال الجديدة تضعفه وأنه لو صغرت سبع خصلات من شعره مع

التي حصل عليها منهم عن مشروعه الموهوم — انشاء شركة البواخر — وأقام في
الفنادق بهذا الاسم كذلك: وأخيراً ذهب الى بروكل لاستشارة الميو غليوم
برناى لتقع الحادثة قضاء وقدراً!!

ولما سئل ليون بلزر عن مصدر كل تلك النقود وهو قد عاد من أمريكا لا يملك
بضعة دولارات؟ أجاب أن صاحب مشروع البواخر هو شخص يدعى المسترمورى
فستل أين هو المسترمورى؟ فأجاب إنه لا يعرف محل إقامته ولا عنوانه وأنه كان
يقابله حيناً فى مقهى وتارة فى فندق، يوماً فى باريس وآخر فى لندن، وهنا يبدو التلغيق
للبوليس ويتأكد أن مصدر تلك النقود هو أرماند بلاشك، وحينئذ يقول اللطاع
عن أرماند إن هذا مجرد ظن: فيجب الاتهام: كلا، ليس هذا مجرد ظن، فإن دفاتر
أرماند كانت مضبوطة وكل صغيرة وكبيرة من نفقاته اليومية مقيدة بالتفصيل، ولكن
... نعم ولكن هذه صعبة!! فإن ٢٥٠٠٠ فرنك كانت مخصصة على النفقات بغير
بيان ولا إيضاح، وكل ما قاله محامى أرماند عن طريقة اتفاق هذا المبلغ الباهظ هو
أنه يحتمل أن أرماند صرف هذا المبلغ فى علاقات نسائية لا يمكنه البوح بها حرصاً
على سمعته وسمعة من كان متصلاً به، ولكن المدعى العمومى حضر هذا القول برد
مفحم هو أنه «ان كان أرماند قد صرف هذا المبلغ حقيقة فى علاقات نسائية فأنه غير
معقول أنه صرفه دفعة واحدة وفى يوم واحد!! وكذلك يوجد فى دفاتر أرماند بعض
مبالغ صغيرة مثل ١٠٠ فرنك مكتوب أمامها (مصاريف سهرة أمس) وهذه
المبالغ لو جمعت فى سنة لما بلغت ثلاثة آلاف فرنك!! فكيف يصدق أنه ينفق ثلاثة آلاف
فرنك فى سنة بطلوها ويأتى فى مرة واحدة ويدفع ٢٥ ألفاً؟؟ أضف إلى هذا أنه كان
فى أزمة مالية، وهذا المبلغ الذى لم يعرف طريق انفاقه قد اقترضه من مصدر معروف
ثم قال المدعى العمومى:

«إن ٢٥ ألف فرنك ليست كثيرة على كل حال اذا نظرنا الى النواقع التى أنفقت
من أجلها فهى ليست كثيرة للتخلص من رجل كرهه أرماند كرهاً شديداً، إذ هو فضلاً
عن كونه عقبة فى سبيل أرماند دون من أحبا بقلبه وروحه وعقله معاً، فانه كذلك
عقبة فى طريق مستقبله المادى حيث كانت مسز برناى — زوجة المحامى الصديق
القتيل — غنية وتكفى ثروتها لأقالة آل بلزر من عثرتهم المالية،

« هكذا كان الحب والمطامع التي صاحبت سياقي ارتكاب هذه الجريمة الشنيعة من رجال كان من حق العلم ووجاحة العقل عليهم ان يخدموا الانسانية التي انجبتهم ، ولكنهم كانوا حرباً عليها بعلمهم وتقيفهم »

« وإذا لم تكن كل هذه الأدلة كافية يا حضرات القضاة لاثبات سبق الأصهار فإني أقدم لكم دليلاً آخر هو شراء ليون بلزر ثمانية مئسات ليختار من بينهما أصلها تنفيذ الجريمة »

فلم تجد المحكمة بدا من أن أصدرت قراراً بالاجماع بإعدام أرماتد بلزر وأخيه ليونا

د. م. ا.



الشفق الباكي

للدكتور أبي شادي

شعر، ونقد، وأدب عام

يقع هذا الديوان العصري الحافل في ١٣٣٦ صفحة جامعة
لنات القصائد والمقطوعات المتنوعة. وهو مطبوع بالشكل
أفترطع ومزبان بظافة من الصور والدراسات القيمة ،
ومجلد بالفما شر تجلياً نقيساً. ويطلب من الطلبة السلفية
بالفاخرة. ومن جميع الكائنات الشهيرة في مصر والعالم العربي. ومن مكنة
لوزا في لندن. « ثم العدد من ثمانية عشر مائة من البرية »

لو

عن کبلنج

لو فقد الناس صوابهم ولم تفقده
 بالرغم من أنهم يلقون كل تبعه عليك
 لو وثقت بذاتك حين يشك فيها الكل
 دون أن تدعى بأنك عن الخطأ منزّه
 لو انتظرت ولم يتعبك الانتظار
 لو كذب الناس عليك ولم تنوح نحوهم
 لو كرهوك ولم تعاملهم بالمثل
 بشرط أن لا تبد كثير الطيبة كامل العقل
 لو كنت تحلم ولا تستعبد نفسك للأحلام
 وتفكر دون أن تجعل الافتكار مرماك
 لو واجهت رغد العيش كما تواجه الضيق
 دون أن تهتم بأحدهما أكثر من الآخر
 لو أمكنك تحمل عواقب ما تقوله من الحقائق
 حين يستعملها الجاهل شبا كاللاغبيا
 لو قدرت على رؤية ما تشيده بنهار
 فتقوم كي تشيده ثانياً من جديد

لو جمعت كل ما تملكه معا
 ووضعتة عرضة للربح والخسارة
 لو خسرت وكنت رابط الجأش
 مستعداً للعمل بقلب كي تستعوض الخسارة

لو أجبرت قلبك وأعصابك وعواطفك
 لاطاعتك بالرغم من أنهم خانوك
 لو بت كما كنت فعلت
 كل شئ سوى الإرادة شغفاً بالاستمرار

لو احتفظت بفتحائك بين الجماهير
 ولم تفقد شخصيتك في حضرة الملوك
 لو ابتعزت الأصدقاء والأعداء عن أذاك
 وساويت الناس ببعضهم دون تفضيل
 لو ملأت كل دقيقة لا ترد .
 بستين عملاً كلهم في حاجة إلى جهد
 تكون سيد العالم مكال لكل ما فيه
 وفضلاً عما سبق تكون رجلاً يابني

« أديب »

